المؤرخ العربي : في فجر الألفية الثالثة
(تأملات في الواقع العربي في القرن الحادي والعشرين)

محمود عبد الواحد محمود
قسم التاريخ في كلية التربية – جامعة تكريت

التاريخ ذاكرة الامة ، ومفتاح لشخصيتها . ومن خلال التاريخ نستطيع ان نفسر ونفهم الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وفي اوقات العسر يلجأ المفكرون الى التاريخ لصياغة نظريات ورؤى وافكار يفسرون من خلالها (أسباب ما حدث) ويحاولون الوصول الى حلول واقعية لمعضلات المجتمع .

واذا حاولنا ان نتامل في اغلب الفلسفات السياسية والاجتماعية والاقتصادية نجدها ذات جذر تاريخي . فبدون التاريخ ، لا يستطيع علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع ، بل وحتى المهندسون والاطباء والجيولوجيون وعلماء الحياة تفسير الظواهر الطبيعية والانسانية والتقنية . فلكل شيء تاريخ : للانسان تاريخ ، وكذلك للحيوان وطبقات الأرض ، للأمراض والعمارة تاريخ يسهم في فهم الحالة وتقديم العلاج الناجح .

أغلب فلاسفة التاريخ استندوا اليه لوضع قوانين تفسر الظواهر السياسية والسوسيولوجية واسباب التكوين والانحلال . فابن خلدون [١] راعه سقوط الدولة العربية الاسلامية ، فحاول ان يفسر ذلك ووضع نظريته التي فسر فيها ظهور الدول وانحلالها (البداوة ، التحضر والترف ثم الانحلال والسقوط) ، وكذا فعل (ازولد شبنجلر Oswald Spengler) [٢] إذ شبه حياة الدول بعمر الانسان (طفولة ، شباب وكهولة) . وتسائل (أدورد جيبون Edward Gibbon) [٣] عن الأسباب التي ادت الى سقوط الامبراطورية الرومانية ، ثم جاءت الحربان العالميتان لتدفع العديد من المؤرخين وفلاسفة التاريخ لتتبع أسباب هاتين الحربين وما تعرضت له البشرية جرائهما من ضياع وفقر وتدمير وانحلال شمل أصقاعا كثيرة من العالم ، لا سيما الامم الضعيفة في اسيا وافريقيا التي تعرضت الى

استغلال بشع من الامبراطوريات الاستعمارية انذاك ، وعلى نحو خاص بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الاميركية .

هذا المستقبل القاتم للبشرية دفع المؤرخ الانكليزي البارز (ارنولد جوزيف توينبي Arnold Joseph Toynbee) الذي وضع نظريته المشهورة (التحدي والاستجابة Challenge and Response) في كتابه (دراسة في التاريخ A Study in History) . فحاول من خلال هذه النظرية ان يفسر ظهور الحضارات العالمية ، مركزا بشكل خاص على الحضارات الشرقية التي عدها اساسا للحضارة الغربية اذا يلجا الانسان الى التاريخ لفهم الضواهر المعاصرة ، وتقديم حلول للبشرية لا سيما وان (التاريخ كله تاريخ معاصر) كما يرى الفيلسوف والمؤرخ الايطالي (كروتشه Kroce ١٨٦٦ ــ ١٩٥٢) . فما قيمة التاريخ اذا لم نفيد منه في تفسير احوالنا المعاصرة ، بل ان من المؤرخين من ذهب الى ضرورة ان نستند الى التاريخ (للتنبؤ بالمستقبل Futurity) . فمن خلال التاريخ يكون الاساس المعرفي للعالم الانساني راسخا لتقديم تحليلات وتفسيرات منطقية ودقيقة لمشكلات البشرية . فقبل خمسة قرون اعلن السنحاوي [٤] توبيخه لمن يذم التاريخ فيكتاب حمل الاسم ذاته . فبهذا يكون التاريخ نافذة تطل من خلالها على المستقبل . وحاول مسكاويه [٥] الافادة من (تجارب الامم) وتقديمها للافادة منها في تسيير دفة الدولة العربية الاسلامية . وفي ذلك يستند الى رؤية قرآنية للتاريخ . فالقرآن الكريم قد اكد على البعد الاخلاقي والعبر التي يمكن ان يستمدها الانسان برجوعه الى التاريخ : (وَجَآءَكَ في هذِهِ الحقُ ومَوَعِظة وذِكرى لِلمؤمنين) (سورة هود ، آية ١٢٠) و(لَقَدْ كَانَ في قَصَصِهِم عِبرةً لاولي الالباب ما كان حديث يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيلَ كُلِ شيء وهُدىً ورَحمةً لقَوْمٍ يؤمِنون) (سورة يوسف ، آية ١١١) .

بهذا المفهوم ساهمت التطورات السياسية والاقتصادية والتكنلوجية المتسارعة في عقد التسعينات : سقوط الاتحاد السوفيتي ، انهيار جدار برلين والوحدة الالمانية ، العدوان الثلاثيني على العراق والحصار الجائر الذي مازال مستمرا عليه ، ثورت الاتصالات و (الانترنيت Internet) [٦] ومشروع الوحدة الاوربية وتأسيس الاتحاد الاوربي والتكتلات الاقتصادية العملاقة ، مفاوضات السلام بين العرب و" اسرائيل " ،

الشرق أوسطية و(العولمة Globalization) [٧] ، في ظهور فلسفات سياسية وحضارية واقتصادية جديدة تستند الى اخر واسس تاريخية . فقبل الف عام وعام (٩٩٩ م) ، أخذ المفكرون ينتظرون الالفية الثانية بروح متيقظة ومرتعبة ، فتصور البعض ان سنة (١٠٠٠ م) ستكون نهاية للبشرية ، وتصور اخرون ان تلك السنة ستشهد نزول المسيح المنتظر ليملأ الأرض عدلا [٨] بعدما عانته اوربا من فوضى مدمرة بدات بسقوط روما سنة ٤٧٦ م ، ولم تنته الا باستقرار الانظمة السياسية الحديثة في القرن الحادي عشر .

والألفية Millennium مصطلح لاتيني يقابله باليونانية Chilias ، وتعني حرفيا مدة ألف سنة . ووفقا للرؤية المسيحية للمصطلح ، فان السيد المسيح (عليه السلام) سيعود بلباس مقاتل وينتصر على الشر (الشيطان) . وفي نهاية هذه المدة سيتم القضاء على الشر نهائيا . وبهذا المفهوم فان المصطلح يؤكد على الصراع بين الخير والشر ، ويبشر بانتصار الخير والمثل الاخلاقية العليا [٩] . ووفقا لهذا التنسيق يشير الاستاذ (يونياناً تلمون Yonina Talmon) في مقالته المعنونة (الالفيانية Millenaarsm) الى ان المصطلح (لا يستخدم الان بمعناه التاريخي المحدود ، لكن بصفته الرمزية ليبشر بالاتفاق الشامل والنهائي للبشر من الشر) [١٠] . فهو استعارة رمزية ذات نسق فكري واخلاقي تذكر بحتمية انتهاء الظلم والاستبداد وعودة البشر الى طبيعتهم الانسانية الاولى : (فعندما كان آدم يحرث وحواء تغزل من الذي كان يومذاك سيدا) [١١] .

واذا كانت نهاية الالفية الاولى وبداية الثانية قد حددتها رؤية الكنيسة باعتبارها المرأة التي عكست حياة المجتمعات الاوربية في العصور الوسطى ، فان إنقضاء الالفية الثانية وبزوغ فجر الالفية الثالثة قد حددته نظرة علمية وثورة تقانية ملتفعة بمواصلة الغرب محاولة احكام قبضة السياسة والاقتصادية على نصف الكرة الجنوبي . وفي هذا الاتجاه وضع (فرنسيس نوكوياما) نظرية " نهاية التاريخ " [١٢] التي تتنبأ بانتصار الرأسمالية الغربية وسرمدية الامبراطورية الامويكية ! . وطرح (صموئيل هنتنغبتون) نظريته التي تؤكد على ان الصراع في القرن القادم هو (صراع حضارات) [١٣] . فبعد ان كان الصراع بين الامراء والملوك والحكام في العصور الوسطى ، أصبح صراعا بين دول بعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، ثم صراعا بين الشعوب في الحربين العالميتين ،

والى صدام بين العقيدتين الرأسمالية والشيوعية ، ثمانتهى الى صدام دائم بين الحضارات والثقافات في التسعينات . اذا ووفقا لهذه الرؤية الاميركية – الصهيونية المضللة . لن تشهد الألفية الثالثة لقاءا بين الامم ، او حوارا بين الحضارات ، بل ان العالم سيسير في اتجاه واحد رسمته التطورات الاخيرة : (نهاية ، صدام ، تناطح) [١٤] والبقاء في كل هذا الخضم لانموذج الحضارة الغربية . وهكذا حاول (فوكوياما وهنتنغتون) ان يوظفان المفهوم المسيحي للألفية لاثبات سرميدية الرأسمالية الغربية وامتدادها الولايات المتحدة باعتبارها الاصلح للبشرية في الالفية الجديدة . لكن ، ونحن نعيش في كون معقد ومتداخل ، اصبح خيط التميو رفيعا بين الحق والباطل ، وفي لجة التقانة المتسارعة التطور ، هل للمؤرخين فسحة في عالم اصبحت فيه الالة مقياسا للوصول الى الحقيقة ؟ او اذا اردنا صياغة اخرى للسؤال : هل يمكن للمؤرخ ان يراقب ويدون ويفكر بالرجوع الى التاريخ لايجاد مستقبل أكثر اشراقا للبشرية ؟ ام عليه ان يقبل بما عرف عنه وفيما مضى : مدونا لحوادث التاريخ واعمال العظام بصفحات بيضاء سرعان ما تكسوها صفرة التقادم لتحول نتاجه برمته الى عمل كلاسيكي للمتعة والتذكر والاعتبار ليس الا .

اذا كان المؤرخ قد رفض مثل هذا الدور المتواضع منذ عصر النهضة ، وأخذ يشق طرقه مع زملائه العلماء والمفكرين في حقول المعرفة الاخرى ، لكشف التزوير والاباطيل وارجاع الحق لاهله [١٥] ، فانه يرفض الا ان يكون بمستوى المرحلة التاريخية الحرجة التي تمر بها البشرية ، فلا بد ان تكون له مساهماته الجادة للخروج من المازق ، والتذكير بجوانب مشرقة او مظلمة من ماضي البشرية ومقارنتها بالحاضر : (اعطني ظروفا متشابه اعطك نتائج متشابهة) [١٦] . لنطل على المستقبل بأسس راسخة ورؤى واضحة بعيدة عن الزيف والتضليل الذي يدفعنا نحو حافة الهاوية التي يحاول الغربيون ان يجدوا اطارا يلم شعثها ، فانحصر هذا الاطار بما يروج له الامريكان : العولمة . فعلى الجميع ان يسير في هذا الاتجاه : عولمة الاقتصاد والسياسة والمجتمع والغاء السمة القومية والوطنية . ففي الشرق الاوسط لن يكون هناك تلاحق حضاري كما شهدت هذه المنطقة عبر العصور . فجميع الشرق اوسطيين يجب ان يسيروا في اطار ما يسمى ظلما

بالشرق اوسطية ، ضمن حلم شمعون بيريز بـــ (شرق أوسط جديد) ، يسير تحت مظلة مفخخة هي العولمة الامريكية .

لقد طفق الصهاينة يرجون لمثل هذه الرؤى والأفكار . فهي تكفل لهم تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه بقوة السلاح ، لا سيما وان كل ذلك قد رافقه ضعف ووهن واضح من جانب العرب . وضمن هذا المفهو ، يتضح ان كل هذه الأفكار الأمريكيـــة قـد التفعـت بمسحة الصهيونية ، فكيف لا يشجع الصهاينة ذلك وهي ، على الرغم من تنوع دروبـها ، تصب في هذه واحد : خدمة الفكرة اصهيونية التوسعية الانتهازية [١٧] .

واذا كان اجميع قد تهيا للقرن القادم ، فبماذا نفكر ونحن نودع الف سنة ونستقبل ألف جديدة ؟ كيف تهيانا ونحن نودع قرنا ونليح قرنا جديدا ؟ هل يمكن ان نتهم التـــاريخ ونستفيد من دروسه وما أكثرها على مدى القرن العشرين خاصة ما يخص علاقتنـــا مـــع الاستعمار الجديد (الأوربي ثم الاميركي) ؟! .

الفكر والثقافة والتارخ على نحو خاص ، يمكن ان يكون لها دورا مهم في ايجاد الدروب الصحيحةالتي تقودنا الى شاطئ الامان . وجميع الشعوب تلجأ الى التاريخ لـترين وحدتها الوطنية والقومية . ففي المانيا مثلا وبعد تحطيم جدار برلين عام ١٩٩٠ ، أخـــذ المفكرون الالمان يرجعون الى التاريخ لترسيخ وحدتهم القومية ولم شـــمل المانيـــا مـــن جديد . فقد استنتج الفيلسوف الفرنسي (ارنست رينان Ernest Renan ١٨٢٣-١٨٩٢) ان الامة هي (مبدأ فكري) . ثم قام (هيغن شولز Hegan Schulze) بتطويـــر هـــذه الفكرة وترجمتها بلغة العصر الحديث . فقال : (ان الامة كيانات فكرية ومجتمعات تكون في حيز الوجود طالما انها تعيش في قلوب الناس وعقولهم الا انها تـــذوي عندمـــا يتـــم التوقف عن التفكير بها والرغبة بوجودها : ان أساس الامة هو الوعي القومي)) [١٨] .

ويؤدي التاريخ المشترك دورا بارزا في تطور مثل هذا الوعي ، ولكن وعلى وفق ما يعتقده شولز : (يجب ان نضيف الى ذلكان هذا التاريخ المشترك وبشكل عام مـــاهو الا ذو واقعية محدودة ويعتمد على التخيلات والاستنباطات اكثر مـــن اعتمـــاده علـــى الحقيقة) [١٩] .

صدرت العديد من الدراسات الأوربية [٢٠] المستشرفة لواقع الكون في قرننا الجديد وعلى مختلف الصعد . لكن ما هي رؤينا العربية لهذه الأحداث بالاستناد الى البعد التاريخي واعتباره اساسا لتكوين منظور واضح لواقعنا القومي ؟ . وبمعنى آخر ، كيف ننظر برؤيتنا القومية الى صورة كون انساني تسوده العداة ، والحرية وتحطيم الأسوار التي بنيت على مدى خمس قرون ؟ اي كيف ننظر الى الألفية الثالثة في إطار واقعنا العربي والاسلامي ، وبعيدا عن أية أُطر وقوالب جاهزة . هناك بعض المعالم الأساسية التي تطرح نفسها علينا [٢١] :

- بعد انقضاء قرن تقريبا من التجزئة التي فرضها الاستعمار منذ سايكس بيكو ١٩١٦ : ماذا حققنا لتجاوز هذا الواقع المجزا الذي فرض علينا ومازال يفرض باساليب متعددة ؟
- بعد انقضاء قرن تقريبا في سلب ارضنا العربية (فلسطين) ، منذ وعد بلفور ١٩١٧ : ماذا فعلنا لاستعادة هذه الارض ؟
- بعد مرور نصف قرن تقريبا على استقلالنا وتشكيل لنظنتنا الوطنية : ماذا انجزنا من خطوات لم الشمل ؟
- بعد تكرار الحالات من اجل سحق طموحاتنا القومية : العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، حرب حزيران ١٩٦٧ ، حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ : العدوان الثلاثين على العراق ١٩٩١ ، العدوان على ليبيا ، الصومال ، لبنان : هل وقفنا الى جانب بعضنا ؟
- بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٨٩ – ١٩٩٠ : هل انتبهنا الى وضعنا ، وتحسبنا للمستقبل ؟
- بعد الوحدة الالمانية عام ١٩٩٠ ، وسيرورة اوربا نحو (اليورو والوحدة الاقتصادية) : هل تجمعنا وتحاورنا ؟
- بعد ثورة الاتصالات والفضائيات : هل درسنا تخلفنا ؟
- بعد انفراد القطب الواحد (الولايات المتحدة الاميركية) ، والعولمة الاميركية ، والشرق اوسطية : هل توجسنا على عروبتنا ؟

- بعد مواصلة نهب ثرواتنا القومية وتدمير اقتصاداتنا : هل دافعنا عن حقوقنا ؟
- بعد الهجمة على العروبة والاسلام : هل حصنا اجيالنا القادمة ؟
- وأخيرا ماذا هيأنا لمستقبلنا الآتي ؟

وحدتنا ، الهدف الذي كافح من أجله اسلامنا على مدى التاريخ المعاصر ، طيلة القرن العشرين ، لا سيما بعد ان أسفر الاتحاديون عن وجههم عام ١٩٠٩ وتنوا سياسة التتريك . فبدا القوميون العرب العمل من أجل تحقيق وحدة البلاد العربية . وهنا بدأ الاستعمار بوضع طموحاتنا في لعبة المساومات والوعود الكاذبة ، فكانت اتفاقية سيكس بيكوسيئة الصيت ، التي قسمت الاقطار العربية بين القوتين الاستعمارتين بريطانيا وفرنسا .

ظل الاستعمار طيلة القرن الماضي ، يمني الأقطار العربية بتحقيق مصالحها الوطنية والقومية ، الا انه في الواقع ظل تخطيط من اجل اعاقة وافشال تحقيق المصالح العربية . سعى المستعمرون الى اشعال لهيب الفرقة بين الأقطار العربية من أجل إبقائها ضعيفة وغير قادرة على مواجهة الاخطار الداخلية والخارجية ، ولاثبات عدم قدرة العرب على ان يحلوا قضاياهم بانفسهم .

نهبوا ثرواتنا الوطنية والقومية . وظلوا يتحكمون في اغلى ثروة يمتلكها العرب : النفط ، عصب الحياة في القرن القدم . فما زالت كثر ارباح النفط في غالبية الأقطار النفطية تصب في خزائن الشركات الاحتكارية . فهل ما زال العرب بعد اكثر من نصف قرن عاجزين عن تسويق النفط بشكل مستقل ، وعلى تسيير دفة ضاعتهم النفطية ؟ ما زال ذلك ممنوع على الاقطار النفطية ، ومن يحاول ان يتحدى الغرب والولايات المتحدة الاميركية ، سيكون مصيره العدوان ، والحصار ، وتاليب العام ضده . بعد قرن كامل هل تجاوزنا جراحات سايكس بيكو ؟ هل قمنا بتصفية اثار عهد الاستعمار . الشعب العربي مازال قلبا واحدا وعقلا واحدا . فامظاهرات التي حدثت أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، تكررت على نحو اكبر خلال العدون الثلاثيني على العراق عام ١٩٩١ ، وخلال سنوات الحصار الاقتصادي الجائر المفروض عليه . لكن ماذا فعلت الحكومات العربية انهاء للظلم الذي يتعرض له العراق . بعض الحكومات العربية مازالت

في تعاملاتها الاقتصادية مع العراق تاخذ موافقة لجنة العقوبات والامم المتحدة . فهل هذا تطورا استمر قرنا كاملا من نضج مشروعنا للم الشمل . ماذا بوسع الولايات المتحدة الاميركية ان تفعل للاقطار العربية لو تضامنت مع بعضها وناصرت شقيقها في وقت المحنة . هل ستقصف طائرات العدوان جميع تلك الاقطار ؟ نشك في مثل هذه الامكانية للاولايات المتحدة الاميركية .

الطائرات الاميركية والبريطانية مازلت تقصف المدنيين العراقيين ، بحجة تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، على الرغم من الرفض الكامل لاغلب اقطار العالم . هل وقفت الاقطار العربية صفا واحدا في مجلس الامن الدولي ؟

واذا تركنا همومنا الوطنية ، وانطلقنا الى واقعنا اقومي : ماذا حققنا لليبيا : الصومال والسودان ولبنان ، اثناء المحنوتعرضها للعدوان الاميركي الصهيوني . وهل تخطينا اسلوب المظاهرات الشعبية ووسائل الاعلام ؟ بعد قرن كامل من الكفاح من اجل الاستقلال وتحقيق الحم القومي ، مازلنا نعاني من معوقات كثيرة ، وما زال الاستعمار بصيغته المعاصرة ، النظام الدولي الجديد ، العولمة والشرق واسطية يتحكم بمصير العرب . مازلنا نعاني الفقر ، الاعتماد على الغرب ، وعدم التكامل الاقتصادي .

كان الكيان الصهيوني يعتبر اي تقدم على طريق تحقيق الوحدة العربية بمثابة ناقوس الخطر بالنسبة لكيانه ، لان الصهاينة يدركون انهم كائن غريب في قلب الامة العربية . وهكذا حاربوا تشكيل الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨ – ١٩٦١) ، وكذلك الحال بالنسبة للميثاق الثلاثي (المصري – العراقي – السوري) في السابع عشر من نيسان / ١٩٦٣ . وفي هذا الصدد تشير صحيفة الطليعة : (ان الكيان الصهيوني قدم في عام ١٩٦٣ شكوى الى مجلس الامن اشار فيها الى ان ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ بين العراق ومصر وسوريا يعد انتهاكا صارخا لميثاق الامم المتحدة ، وينطوي على تهديد مباشر للسلم والامن العالميين) [٢٢] .

والآن هل تغيرت رؤية الكيان الصهيون ازاء فكرة الوحدة العربية ، او ما يزيد من قوة المجتمعات العربية ؟ وهل ستتغير هذه الرؤية الصهيونية في القرن الجديد ؟ ان " اسرائيل " مازالت تحارب اي نهضة لاية دولة عربية او لمجموعة من الدول . لانها

تدرك ان عوامل القوة كامنة في الذات العربية . وان المجتمع العربي يصرف النظر عن الحكومات ، يرنو الى تحقيق مثل هذه الوحدة .

بعد قرن كامل لم يتغير واقعنا تغيرا جوهريا عما كنا نخطط ونحلم ونفكر به قبل مائة عام . والقرن في لغة التاريخ ليس قليلا ، على الرغم من ان مدى التاريخ أوسع من ذلك . أوربا قفزت بمدى أربعمائة سنة قفزات هائلة : القرن السادس عشر : نضج واتسع حركة النهضة الاوربية ، القرن السابع عشر : تطورات اقتصادية واسعة ، أدخلت اوربا المرحلة الراسمالية مع نضج فكري عميق ، القرن الثامن عشر : عصر التنوير وبدايات الثورة الصناعية وحدوث تطورات سياسية واقتصادية واسعة في بنية المجتمع الأوربي ، وفي القرن التاسع عشر : تحولت دول القارة الاوربية الى دول متقدمة ، واتجه بعضها في عصر الاستعمار واستغلال الشعوب ، واكمل من تخلف وحدته : ايطاليا والمانيا ، وثورات مستمرة في البلقان ضد الدولة العثمانية .

ربما يقول قائل : اننا لم ندخل في دورة حضارية متكاملة مثلكا دخلتها اوربا . لكننا نقول ايضا اننا نمتلك من المقومات الفكرية والاقتصادية والسياسية والدينية مايجعلنا في وضع افضل من اوربا للحقاق بالعالم المتقدم : اساس اقتصادي راسخ ، اتفاق عام على فكرة العروبة ، جامعنا الذي لاخلاف عليه ، دين قادرا على ان يلم شملنا وان نواجه به الأخطار الداخلية والخارجية : الاسلام ، عقل عربي قادر باعتراف الاوربيين على الابداع ، الى جانب تطورات مهمة على مستوى العالم ، لا سيما الثورة المعلوماتية والتقنية اللتان من الممكن ان تساعدانا في تحقيق تطور متسارع ومدروس . فهل سنضع هذه العوامل في اعتبارنا ، ونحن نفتح عيوننا على الالفية الثالثة ؟ اما ان لنا ان نخطط مستقبلنا بشكل جماعي ، ونبتعد عن النظرة الفردية . تساؤلات ربما تكون مفتاحا لتحقيق واقعنا العربي الذي قد يحولنا الى امة فاعلة تصنع مستقبل البشرية مستقبلا .

واذا تركنا الجانب السياسي ، وتاملنا التطورات الاقتصادية والتكنلوجية والفكرية العالمية ، لادركنا ان علينا كامة عربية ان نتوقف طويلا لنحدد طريقنا في هذا العصر . فالعالم في القرن العشرين تقدم بخطوات واسعة اسرع بكثير من القرن التاسع عشر وسيتطور بشكل اكثر سرعة في قرننا الجديد ، فماذا هيانا لاستقباله ؟ ان جامعاتنا

ومؤسساتنا العلمية على مستوى وطننا العربي مازلت ناقلة للمعرفة وليست مبتكرة لـــها ، ومازلنا ناقلين للنظريات العلمية والافكار والرؤى العلمية دون التفاعل معها . فهل بإمكاننا ان نكون امة مبتكرة للمعرفة ؟ ان الاطلاع على الواقع الفكري والعلمي العربي يوضح ان العرب قادرون على تحقيق اعلى درجات الابتكار فاللعرب دور فيما يحصل من انجازات علمية وفكرية . فجائزة نوبل للفيزياء لعام ١٩٩٩ ، كانت من نصيب العـــالم المصـــري (احمد زويل) الذي يعمل في الولايات المتحدة الاميركية . أليس من الاجدى ان تحتضن الدول العربية أبناءها من العلماء والمفكرين ، وتيئة كل مستلزمات التقدم الذي سيسهم فـــي تقوية بنية الامة . فعلينا ان نتجاوز الروتين وننطلق الى دعم الابداع والمبدعيـــن . وقـــد اثبتت التجربة العراقية على مدى سنوات الحصار ان العقل العربي قادرا علـــى الأبـــداع والاستجابة للتحدي بشكل رائع .

ان الثقة بالمفكر والعالم العربي يجب ان تكون سبيلنا لتحقيق التقدم المنشود . اذا فالالفية الثالثة قد اقتحمت علينا واقعنا بخطى متثاقلة ، لكنها واثقة وراسخة ، فعلينا ان نعد العدة لاستقبالها . فليس بوسعنا كامة ان ننتظر قرنا اخر لتحقيق طموحاتنا المشـــروعة ، لان القرن بلغة الانترنيت والكومبيوتر أصبح يشكل ألف سنة بالمفهوم السابق . وهكذا فان خطانا يجب ان تتسارع عما سبق ، اذا اردنا ان نلحق بركـــب التقـــدم ونربـــط ماضينـــا المشرق بواقعنا المؤلم ، املا في مستقب افضل للاجيال القادمة التـــي اصبـــح مســـتقبلها رهينة بلعبة الامم في مخططاتها القادمة.

على المؤرخ العربي النزيه ان يدق بناقوسيه لامة العرب ، منبها اياها ننا يحـــاك ضدها في دهاليز ودهاقنة (النظام الدولي الجديد) ، وهو حلقة الوصل التي تذكر بماضي الامة وماتعرضت له في تاريخها البعيد والقريب وحاضرها المشضى . وعلى مؤرخ امة العرب ان يدرك ، بعقله المتيقظ وقلبه الذي تحمـــل الام مـــا مضـــى وينبـــض بـــالتطلع للمستقبل ، ان (التاريخ يعيد نفسه) وان تغيرت الازمان والوجوه والامكنة . وان المؤرخ العربي مفعم بالامل بالافادة من خلاصة ما قدمه لابناء امته عن الاحداث والدروس التـــي مرت بها الامة عساها تكون مشعلا يضيء لامة العرب مستقبلها .

الهوامش :

(١) هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) . مؤرخ وفيلسوف اجتماعي من أشهر مؤلفاته (العبر وديوان المبتدأ والخبر) و(مقدمة ابن خلدون) التي اشتملت على فصول في اصول النظريات الاجتماعية والسياسية وتصنيف العلوم .

(٢) مفكر وفيلسوف الماني عاش للمدة (٢٩ / أيار / ١٨٨٠ – ٨ / أيار / ١٩٣٦) . استمد أفكاره من الطبيعة مؤكدا في ذلك على القوة . وقد بينها في كتابه (انحلال الغرب The Declin of the West) الذي نشر في السنوات (١٩١٨ – ١٩٢٢) ، ويعد دراسة فلسفية طويلة وعميقة قارن فيها الظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية بين الحضارة الغربية وبين الحضارتين اليونانية والرومانية ، وتوقع انحطاط الحضارة الغربية وتدهورها لارتكازها على القيم التقنية على حساب القيم الفكرية والاخلاقية .

Wilfried Fest , Dictionary of German History 1806-1945 , 2 ed , (New York , 1980 , pp. 148-149)

(٣) مؤرخ انكليزي عاش للسنوات (١٧٣٧ – ١٧٩٤ م) . قام بزيارة الى روما استفاد منها في فكرة تاليف كتابه الكبير (تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها The Decline and Fall of The Romen Empire) والذي ظهر في ستة مجلدات (١٧٧٦ – ١٧٨٣ م) غربال ، المصدر السابق ، ص٦٧٥ .

(٤) هو ابو الخير محمد عبد الرحمن (١٤٢٧ – ١٤٩٧ م) ، مؤرخ عربي ولد بالقاهرة . ألّف كتب عديدة في الحديث والتاريخ أهمها (الاعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ) . المصدر نفسه ، ص ٩٧٣ .

(٥) هو ابو علي احمد بن محمد . فيلسوف اخلاقي ، الف كتب عديدة اهمها (تجارب الامم) الذي شمل مادة تاريخية جيدة للحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة العباسية ، وكتاب (تهذيب الاخلاق) الذي اكد فيه على تهذيب الذاتوالتحلي بالعفة والشجاعة والحكمة والعدالة . المصدر نفسه ، ص١٧٠٠-١٧٠١ .

(٦) الانترنيت : كلمة مشتقة من المفردة الانكليزية (Net) التي تعني شبكة وصارت لها دلالتها الخاصة بالارتباط مع تكنلوجيا المعلومات . اذ يمكن استخدامها في (ارسال واستقبال البريد الالكتروني ، وعقد الاجتماعات والمؤتمرات عن بعد ، وتبادل المعلومات ونقل الملفات ، وتبادل الآراء ، وغير ذلك) . ناطق خلوصي ، الانترنيت شبكة معلومات العالم ، الموسوعة الصغيرة ، العدد ٢٤٥ ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ١٠ - ١١ .

(٧) كلمة مشتقة من (Globe) التي تعني الكرة ، والمقصود بها (الكرة الأرضية) . والعولمة هي التداخل الواضح لامور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداء يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة ، او الانتماء الى وطن مجدد او دولة معينة ودون حاجة الى إجراءات حكومية . وبشكل عام تعني (حقبة التحول الرأسمالي العميق في ظل هيمنة دول المركز وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافيء) ، د. محمد عبد العال النعيمي و د. أديب قاسم شندي ، العولمة ومستقبل الوطن العربي ، مجلة الحكمة ، العدد ٥ ، (بغداد ، ١٩٩٨ ، ص ٧٣ .

Millennium in : Encyclopaedia Britannica , Vol. 15 , (London . 1970), p. 464 .

(٩) حول الألفية . ينظر : محمود عبد الواحد ، مفهوم الالفية بين الدين والسياسة ، جريدة الثورة ، العدد ٩٨٣٣ ، ١٢ / كانون الثاني / ٢٠٠٠ ، ص ٢ .

(10) Yonina Talmon , Millenarism : International Encyclopaedia of the Social Sciences , Vol. 10 , P. 349 .

(١١) محمود عبد الواحد محمود ، المصدر السابق ، ص ٣ .

(١٢) فرنسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ ، ترجمة حسين أحمد أمين ، (القاهرة ، ١٩٩٣) ، ص ١٧ - ١٨ .

(١٣) صاموئيل هنتنغتون ، صراع الحضارات ، ترجمة نجوى ابو غزالة ، شؤون سياسية ، العدد الأول (كانون الثاني ، ١٩٩٤) ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(١٤) د. وليد عبود محمد ومحمود عبد الواحد محمود ، المتناطحون الثلاثة في القرن القادم ، الموقف الثقافي ، العدد ٢٣ ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٩٠ - ١٠٤ .

(١٥) كشف المؤرخ الايطالي (لورينزوفالا Lorenzo Vala) في عام ١٤٤٠ م زور (هبة قسطنطين Donation of Costantine) ، وهي وثيقة ادعت البابوية ان الامبراطور الروماني قسطنطين الكبير (٣٠٥ - ٣٣٧ م) تنازل في عام ٣٠٦ م عن الأجزاء الغربية من الامبراطورية الرومانية بما في ذلك ايطاليا للبابوية . وقد استندت البابوية على هذه الهبة في الحصول على هبة اخرى من الملك الكارولنجي بين الثالث (٧٤١ - ٧٨٦ م) . اذمنح هذا الملك الممتلكات التي استولى عليها من اللمبارد في ايطاليا عام ٧٥٦ م للبابوية ، وعرف ذلك بـ (هبة بيبن) . فكان كشف فالا قد أسهم في تطور الدراسات التاريخية في اوربا واعتمادها على النقد والتحليل. عبد القادر احمد اليوسف ، تاريخ العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦ - ١٥٠٠ م ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص ٩٢ ، كمال مظهر احمد ، النهضة ، الموسوعة الصغيرة ، العدد ٣٧ ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(١٦) على الرغم من اختلاف المؤرخين عن علماء الطبيعة (الكيميائيين والفيزيائيين) ، الا انهم طبقوا بعضا من نتائج تحليلاتهم على الانسان . فعلى الرغم من اختلاف رد الفعل الانساني على الظروف ذاتها التي قد يتعرض لها ، الا ان الظروف المتشابهة قد تولد نتائج متشابهة : فشل نابليون في حملته على روسيا في آب / ١٨١٢ ، وهتلر في حملته على روسيا في حزيران / ١٩٤١ . والمآسي التي تعرض لها جيشيهما ، وتاشير تلك الحملتين بداية النهاية لكليهما . سقوط الإمبراطوريات الساسانية ، الرومانية ، العثمانية ، والروسية ثم السوفيتية ، فعلى الرغم من اختلاف الاسباب الجزئية ، الا ان هناك تشابها في الأساسيات .

(١٧) نوقش هذا الموضوع في : محمود عبد الواحد محمود ، العولمة والشرق أوسطية (خمر جديدة في قوارير قديمة) ، جريدة الثورة ، ١٩ / كانون الأول / ١٩٩٩ .

(١٨) فرانز مولشاغن ، صور لوثر في الذاكرة الالمانية ، ترجمة محمود عبد الواحد محمود ، آفاق عربية ، العدد ٣ - ٤ ، (بغداد ، ١٩٩٨) ، ص ٤٣ .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) على سبيل المثال : لسترثرو ، المتناطحون ، المعركة الاقتصادية القادمة بين اليابان واوربا وامريكا ، (أبوظبي ، ١٩٩٦) ، روجيه غارودي ، امريكا طليعة الانحطاط ، كيف تجابه القرن الحادي والعشرين ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، دانيال وارنر ، السياسة الخارجية الاميركية بعد انتهاء الحرب الباردة ، (ابو ظبي ، ١٩٩٩) .

(٢١) محمود عبد الواحد محمود ، المؤرخ العربي ومتطلبات القرن القادم ، جريدة الثورة ، ١٠ / تشرين الثاني / ١٩٩٩ ، ص ٣ .

(٢٢) الطليعة ، ١٩ / نيسان / ١٩٦٣ .